

II-العناوين:

مقدمة:

يتعين في تتبع العناوين⁽¹⁾ داخل الديوان البحث في البنية التركيبية⁽²⁾ على مبدأ التشابه والاختلاف، ليتضح نمط الجملة، ثم تتم دراسة مكوناتها، للتعرف على إحالاتها الدلالية⁽³⁾ التي ترسم آفاقاً للتوقع عند التأويل⁽⁴⁾.

يقتضي هذا الفعل تعيين التام من التركيب والناقص منه؛ فأما التام فلوضوح دلالاته وتعيين قصده إشارة وإضافاته إيجاء، إلا أن يكون في صورته التامة شيء من الإبهام كأن يكون بعض عناصره ظاهرة غير أنها لا تعين محسوساً بذاته أو تعين ما يحتمل الاستبدال بما يصنع فضاء تأويل واسع لإمكانية حلول أي بديل محل العنصر غير المحدد دلالة بلفظ محدد. وأما الناقص فلاحتمال الحذف فيه قبلياً وبعدياً، وما يثيره الوضع من إمكانيات واسعة للتأويل. ويبقى النسخ عند المؤول بقدر ما يثيره الملفوظ بوصفه تركيباً ناقصاً يسعى إلى تكميله بما يتناسب ونسجه. وهذا وجهه.

والوجه الآخر قد يرسم تشكيل العناوين فضاءات متنوعة، ويكون في تعيينها شكل من أشكال التطور والتسلسل الانفعالي أو التناقض المنطقي والفكري، مما يتطلب إيجاد تبرير لهذا الوضع، وهو التأويل الذي يصف الحال أو يجبر النقص والكسر ويسوي التناقض ويمنطق التشكيل كيفما كان وروده، وليس ذلك بالضروري إذا تعذر، ليكون الوضع قائماً على الصراع والتوتر في فضاء التناقضات التي لا شك في تعالقها برؤية الشاعر وحياته في ظل الواقع العام الذي يعيشه.

بهذا التوقع تدرس العناوين وبشكل كلي تُعيّن الأنواع والأتماط ويتعين معها التأويل إجمالاً من غير تفصيل.

¹ - ينظر: رشيد يحيوي: الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب/بيروت، لبنان، 1998، ص110. وفيها: (لقد أصبح حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي للنص).

² - ينظر عمل بشرى البستاني في قراءات في النص الشعري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2002، ص35، فالعنوان خاضع لوضع تركيبية نحوي على نحو جملة اسمية تامة، وجملة اسمية حذفت أحد طرفيها، وجملة فعلية فعلها مضارع [أو ماض]، وجملة إنشائية قائمة على النداء. وهو عمل منوط بعنونة عند شاعر بذاته قد يصدق مع غيره وقد يزيد أو ينقص عنه. وأما ما تعلق بالدلالة من التراكم فله ثلاثة أشكال كما يرى رشيد يحيوي في الشعر العربي الحديث، ص110-111: تجاوز العناوين (علاقة عنوان بعناوين أخرى داخل ديوان واحد)، و نصية العنوان (الوقوف على صياغة العنوان وكيفيةها)، والعنوان والنص (تعالق الطرفين من حيث الموضوع الواحد أو من حيث الصيغة اللغوية؛ كأن يكون لفظ العنوان كامناً في نص الخطاب). وينظر أيضاً الغدامي، الخطبة والتكفير من النبوية إلى التشريحية، مقدمة نظرية، دراسة تطبيقية، دار سعاد الصباح، القاهرة/الكويت، ط3، 1993، ص261 وما بعدها حينما جعل مرتكز الدراسة البنية التركيبية.

³ - ينظر: بشرى البستاني: السابق، ص32؛ إذ العنوان (يومئ إلى أمر غائب في النص على القاريء أن يبحث عنه لاكتشاف البيئة المولدة للدلالة والجديرة بأولية التحليل). وهو أيضاً كما في ص34 منه: (رسالة لغوية تعترف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها، وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه). (ومدخل إلى عمارة النص، وإضاءة بارعة وغامضة لأبهانه وممراته المتشابهة) كما يراه علي جعفر العلاق: الشعر والتلقي، دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص173. وفي علاقته بموضوع النص هو (تعبير ممكن واحد عن ذلك الموضوع) كما يقول جيليان براون وجورج يول: تحليل الخطاب، ص162. بما ينمي فكرة صناعة الأفق التأويلي.

⁴ - ينظر: رشيد يحيوي: السابق، ص116 و117.

الفصل الثاني: التأويل المجمل

أولاً: - على مستوى البنية التركيبية:

العنونة بجمل غير تامة شكلاً: - الجملة الاسمية:

أ- خبر مبتدأه محذوف:

1-العنوان بصيغة شبه جملة من جار ومجرور:

الصفحة	العنوان	الجزء
9	مع المروج	1- وحدي مع الأيام
64	من الأعماق	
74	إلى صورة	
101	في مصر	
123	على القبر	
325	من الأعماق	5- أمام الباب المغلق
467	في العباب	

2- العنونة بصيغة شبه الجملة من جار ومجرور مضاف:

الصفحة	العنوان	الجزء
30	مع سنابل القمح	1- وحدي مع الأيام
58	في درب العمر	
60	في ضباب التأمل	
84	في محراب الأشواق	
113	من وراء الجدران	
116	في سفح عيبال	
502	من صور المقاومة	6- الليل والفرسان
529	من صور الاحتلال: آهات أمام شباك التصاريح	
610	من مفكرة رندة	
618	من مفكرة هبة	
619	من مفكرة تيسير	

3- العنونة بصيغة شبه الجملة من جار ومجرور موصوف:

الصفحة	العنوان	الجزء
197	في الكون المسحور	2- وجدتها
321	إلى المغرد السجين	4- أعطنا حبا
426	في ليلة مطرة	5- أمام الباب المغلق
485	إلى صديق غريب	6- الليل والفرسان

الفصل الثاني: التأويل المجمل

533	إلى الوجه الذي ضاع في التيه	
616	من مفكرة سجين مجهول مكان السجن	
573	في المدينة الهرمة	7- على قمة الدنيا وحيدا
606	عن الحزن المعتق	

4- العنونة بصيغة شبه الجملة من جار ومجرور مميز:

الصفحة	العنوان	الجزء
371	بعد عشرين عاما	4- أعطنا حبا

5- العنونة بصيغة شبه الجملة من جار ومجرور مع شبه جملة من جار ومجرور:

الصفحة	العنوان	الجزء
140	مع لاجئة في العيد	1- وحدي مع الأيام
499	إلى السيد المسيح في عيده	

6- العنونة بصيغة شبه الجملة من جار ومجرور مبدول:

الصفحة	العنوان	الجزء
607	إلى الشهيد وائل زعيتر	7- على قمة الدنيا وحيدا

7- العنونة بصيغة شبه الجملة من جار ومجرور مضاف ومميز/حال:

الصفحة	العنوان	الجزء
606	على قمة الدنيا وحيدا	7- على قمة الدنيا وحيدا

8- العنونة بصيغة شبه جملة ظرفية:

الصفحة	العنوان	الجزء
137	بعد الكارثة	1- وحدي مع الأيام

9- العنونة بصيغة شبه جملة ظرفية المضاف إليه فيها موصوف:

الصفحة	العنوان	الجزء
441	أمام الباب المغلق	5- أمام الباب المغلق

10- العنونة بصيغة شبه جملة ظرفية المضاف إليه فيها مضاف:

الصفحة	العنوان	الجزء
465	عند مفترق الطرق	5- أمام الباب المغلق

الفصل الثاني: التأويل المجمل

11- العنونة بصيغة شبه جملة ظرفية المضاف إليه فيها معطوف:

الصفحة	العنوان	الجزء
621	بين المد والجزر	7- على قمة الدنيا وحيدا

12- العنونة بصيغة شبه جملة من جار ومجرور وتمييز/شبه جملة مكررة:

الصفحة	العنوان	الجزء
335	إليه بعيدا	4- أعطنا حبا
614	إليهم وراء القضبان	5- على قمة الدنيا وحيدا

ب- مبتدأ خبره محذوف أو خبر مبتدأه محذوف:

1- العنونة بصيغة شبه الجملة من مضاف ومضاف إليه:

الصفحة	العنوان	الجزء
53	طمأنينة السماء	1- وحدي مع الأيام
69	غب النوى	
87	قصة موعد	
153	نداء الأرض	2- وجدتها
162	شعلة الحرية	
166	حلم الذكرى	
261	دوامة الغبار	3- قصائد من رواسب وحدي مع الأيام
315	أغنية البجعة	4- أعطنا حبا
338	أسطورة الوفاء	
348	يوم الثلوج	
360	اسمك	
414	رؤيا هنري	5- أمام الباب المغلق
429	جسر اللقيا	
436	لقاء كل ليلة	
451	تاريخ كلمة	
551	عاشق موته	6- الليل والفرسان
553	حرية الشعب	
564	أنشودة الصيرورة	
590	نبوءة العرافة	7- على قمة الدنيا وحيدا

الفصل الثاني: التأويل المجمل

602	حرية الفارس	
-----	-------------	--

2- العنونة بأداة نفي واسم مفرد نكرة:

الصفحة	العنوان	الجزء
356	لا مفر	4- أعطنا حبا

3- العنونة بصيغة عطف اسم على اسم أو ضمير على ضمير:

الصفحة	العنوان	الجزء
13	خريف ومساء	1- وحدي مع الأيام
18	الشاعرة والفراشة	
41	ليل وقلب	
93	نار ونار	
120	يتيم وأم	
266	هو وهي	3- قصائد من رواسب وحدي مع الأيام
487	الطوفان والشجرة	6- الليل والفرسان
564	الفدائي والأرض	

4- العنونة بصيغة اسم موصوف:

الصفحة	العنوان	الجزء
38	أشواق حائرة	1- وحدي مع الأيام
78	الصدى الباكي	
110	تهويمه صوفية	
129	الروض المستباح	
214	القيود الغالية	2- وجدتها
241	الأطياف السجينة	
332	القصيدة الأولى	4- أعطنا حبا
365	الكلمة والتجربة	
403	القصيدة الأخيرة	
481	مدينتي الحزينة	6- الليل والفرسان
624	أمنية جارحة	7- على قمة الدنيا وحيدا

5- العنونة بصيغة اللفظ المفرد:

الصفحة	العنوان	الجزء
--------	---------	-------

الفصل الثاني: التأويل المجمل

34	هروب	1- وحدي مع الأيام
46	حياة	
81	سمو	
108	وجود	
134	اليقظة	
144	رقية	
178	ذكريات	2- وجدتها
186	الانفصال	
193	العودة	
231	ندم	
234	هنيهة	
247	الصخرة	3- قصائد من رواسب وحدي مع الأيام
258	هباء	
318	نسيان	4- أعطنا حبا
387	هزيمة	
400	غيران	
434	حصار	5- أمام الباب المغلق
458	مكابرة	
469	لحظة	
483	الطاعون	6- الليل والفرسان
542	حمزة	
571	ألبير كامو	7- على قمة الدنيا وحيدا

6- العنونة بمضاف موصوف:

الصفحة	العنوان	الجزء
481	مدينتي الحزينة	6- الليل والفرسان
518	يوميات جرح فلسطيني	

7- العنونة بمضاف متبوع بعطف:

الصفحة	العنوان	الجزء
582	كوابيس الليل والنهار	7- على قمة الدنيا وحيدا

8- العنونة بلفظ مميز:

الصفحة	العنوان	الجزء
--------	---------	-------

الفصل الثاني: التأويل المجمل

490	حي أبدا	6-الليل والفرسان
-----	---------	------------------

ج-مبتدأ خبره محذوف:

1- العنونة بصيغة اسم الإشارة والبدل:

الصفحة	العنوان	الجزء
352	تلك القصيد	4- أعطنا حبا
376	ذاك المساء	

2- العنونة بصيغة عاطف ومعطوف:

الصفحة	العنوان	الجزء
227	أنا والسر الضائع	1- وحدي مع الأيام

-الجملة الفعلية:

-العنونة بجملة فعلية شرطية (خبرية) جوابها محذوف:

الصفحة	العنوان	الجزء
207	كلما ناديتني	2-وجدتها

ثانيا: - العنونة بجملة تامة شكلا:

أ-الجملة الاسمية:

1- العنونة بمبتدأ نكرة وخبر شبه جملة من جار ومجرور:

الصفحة	العنوان	الجزء
23	أوهام في الزيتون	1- وحدي مع الأيام
222	ساعة في الجزيرة	2- وجدتها
395	رجوع إلى البحر	4-أعطنا حبا
420	مرثاة إلى نمر	5-أمام الباب المغلق
557	حكاية لأطفالنا	6- الليل والفرسان

2- العنونة بمبتدأ نكرة وخبر شبه جملة من جار ومجرور موصوف:

الصفحة	العنوان	الجزء
312	صلاة إلى العام الجديد	4- أعطنا حبا
479	كلمات من الضفة الغربية	6- الليل والفرسان
626	إيتان في الشبكة الفولاذية	7-على قمة الدنيا وحيدا

3- العنونة بمبتدأ نكرة وخبر شبه جملة من جار ومجرور أو ظرفية وزيادة :

الفصل الثاني: التأويل المجمل

الصفحة	العنوان	الجزء
492	رسالة إلى طفلين في الضفة الشرقية	6- الليل والفرسان
529	آهات أمام شباك التصاريح	

4- العنونة بمتداً نكرة موصوفة وخبر شبه جملة من جار ومجرور:

الصفحة	العنوان	الجزء
411	أردنية فلسطينية في إنكلترا	5- أمام الباب المغلق
629	أغنية صغيرة لليأس	7- على قمة الدنيا وحيدا

5- العنونة بمتداً مضاف وخبر شبه جملة من جار ومجرور:

الصفحة	العنوان	الجزء
561	جريمة قتل في يوم ليس كالأيام	6- الليل والفرسان
547	خمس أغنيات للفدائيين	

6- العنونة بجملة اسمية من مبتداً وخبر:

الصفحة	العنوان	الجزء
105	وأنا وحدي مع الليل	1- وحدي مع الأيام
254	أنا راحل	3- قصائد من رواسب وحدي مع الأيام

7- العنونة بجملة اسمية مسبوقة ب: لا النافية للجنس وخبرها جملة فعلية:

الصفحة	العنوان	الجزء
120	لا شيء يبقى	4- أعطنا حبا

ب- الجملة الفعلية:

1- التركيب الخبري التام:

1.1- إخبار يحوي مذكورا غير معين:

الصفحة	العنوان	الجزء
174	وجدتها	2- ووجدتها
182	وانتظرنني	
211	حتى أكون معه	
218	تشك بحبي	
238	لن أبيع حبه	
344	يزورنا	

الفصل الثاني: التأويل المجمل

382	وقد حدثتني ذات ليلة	4-أعطنا حبا
471	بوركت لحظتنا	
511	لن أبكي	6-الليل والفرسان
550	حين تنهمر الأنباء السيئة	
553	كفاني أظل بحضنها	
559	ذهب الذين نحبهم	

2.1-تركيب خبري تعينت عناصره:

471	بوركت لحظتنا	4-أعطنا حبا
511	لن أبكي	6-الليل والفرسان
550	حين تنهمر الأنباء السيئة	

2-التركيب الإنشائي:

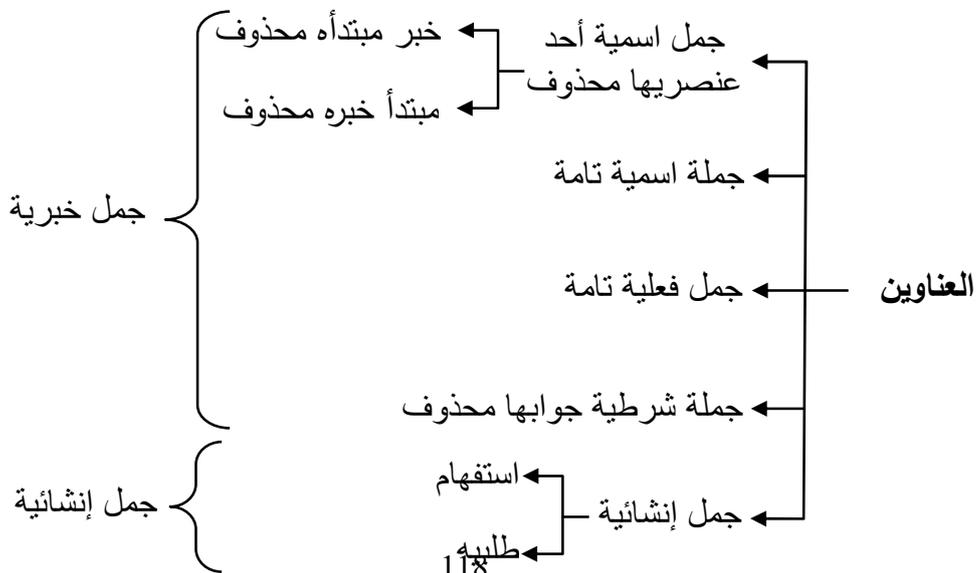
1.2-العنونة بجملة استفهامية :

الصفحة	العنوان	الجزء
190	هل كان صدفة؟	2-وجدتها
202	هل تذكر؟	
431	لماذا؟	5-أمام الباب المغلق
569	كيف تولد الأغنية؟	6-الليل والفرسان

2.2-العنونة بجملة إنشائية طلبية:

الصفحة	العنوان	الجزء
362	عد من هناك	2-وجدتها

تعين في هذا الوضع أن تكون العنونة كما في التشكيل:



ويتعين مع ذلك ما يلي:

1. العناوين بهذا الشكل أكثر إيجاءً وجاذبيةً وإغراء من كونها تامة، حتى إن الجمل التامة فيها مذكور غير معين ولو أضيف لتحديد المراد ويفقد السحر المميز وتصير العنونة باهتة.
 2. لا يحتاج العنوان بطبيعته المذكورة . التي هو عليها . إلى إضافة العنصر الناقص، فهو مشع ومعبر وواسع، لأن غياب عنصر تصريحاً ينمي حركة الاستبدال ويوسع دائرة الإحالات، ليكون أحدها هو المراد، وقد يتعين بتحليل النص الذي يرافقه⁽¹⁾.
 3. يؤدي الاستبدال دور سد الفراغ، وملء الفجوات التركيبية ليكون الاختيار قائماً على المتقارب دلالياً أو المحيط بأغلبية المعاني التي يمكن للتركيب أن يؤديها، فإن كان الحذف من المخاطب أو يقتضيه خطاب المخاطب، كان ذلك مما يرفع القيمة الخطائية للملفوظ ليكون في موضع العام الذي يتخصص بخطابه، لأن المشابهة . بوصفه موضوعاً . بغيره من الخطابات الأخرى، يعين العنوان حالة من تلك الحالات التي تعالج موضوعاً معنوياً واحداً.
 4. لقد جاءت أغلب الملفوظات مفردة ومنكرة بما ينمي فكرة الكثرة والتعدد. ومهما كان الوضع؛ فإن وصف شعور أو ذكر حال بهذا المنطق وإن كان في أغلبه يعتبر النقص وعدم التعيين العيني، لا يعني بأي حال الخواء الدلالي، بل كل ملفوظ قد امتلأ دلالة، وأدى ما عليه في مخيلة المؤول.
 5. يكون القصد قائماً على المشابهة، لأن المقصود غير معين بذاته مطلقاً بل تعيينه لا يعدو الإمكانية لوفرة التعدد، حينها يكون كل مشابه صالح في الاستبدال داخل بنية التركيب مقصوداً، على أن القصد لا يعني معنى بذاته بل معان بعضها يتجانس مع بعض وقد لا تتجانس إطلاقاً ولكنه التركيب الذي يمتلئ بالاستبدال الممكن.
- ينمي هذا الوضع التركيبي التعدد والخروج من تجربة الأنا الذاتية إلى تجربة الآخرين؛ فبرغم خصوصية الحال والشعور فإنها حال تشترك فيها مع من يماثلها وضعاً.
6. يقدر الحذف قبلًا وبعدياً، ليكون التركيب النحوي دالاً على بنية دلالية أساسها تأويل مفصل لكل تركيب على حدة، أو تأويل مجمل لكل التراكم كما سيتعين في حينه.

¹ - ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 146 متحدثاً عن الحذف والإخفاء وله فيها: (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجب الأمر، شبيهه بالسحر، فأنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم شَبِين).

وأما على المستوى العمودي؛ فإن العناوين تحقق الآفاق التالية:

[1] - ((وحدى مع الأيام)):

أ / الحيرة والضياح والتهيه أو الانفلات والهيام في الطبيعة:

مع المروج-مع سنابل القمح- في درب العمر- في ضباب التأمل- في محراب الأشواق- من وراء الجدران- في سفح عيال- غب النوى.

ب / الهواجس: الليل والحب والحلم والزمن:

خريف ومساء- الشاعرة والفراشة- ليل وقلب- نار ونار- أوهام في الزيتون- وأنا وحدي مع الليل-

ج / صفة الواقع الحاضر :

إلى صورة- في مصر- على القبر- بعد الكارثة- مع لاجئة في العيد- يتيم وأم- الروض المستباح- رقية من صور النكبة- اليقظة

د / الواقع المأمول:

هروب- حياة- سمو- وجود

هـ / التضرع والابتهاج والنجوى:

الصدى الباكي- تهويمه صوفية- أشواق حائرة- طمأنينة السماء- من الأعماق.

[2] - ((وجدتها)):

أ / الحقيقة الجديدة:

في الكون المسحور- القيود العالية- الأطياف السجينة- ساعة في الجزيرة- حلم الذكرى- ذكريات.

ب / التحول الذاتي:

نداء الأرض- شعلة الحرية- الانفصال- العودة- ندم- هنيهة.

ج / الاكتشاف :

وجدتها- وانتظرتني- تشك بحبي- هل كان صدفة؟- هل تذكر؟.

د / الأمل:

كلما ناديتني- حتى أكون معه

هـ / الحقيقة الثابتة :

أنا والسر الضائع- لن أبيع حبه.

[3] - ((قصائد من رواسب وحدي مع الأيام)):

المأساة والحياة الجديدة: (ذكريات وحنين):

هو وهي-الصخرة-أنا راحل-دوامة الغبار.

[4] - ((أعطنا حبا)):

أ/ التضرع والنجوى والابتهاال :

إلى المغرد السجين-بعد عشرين عاما-صلاة إلى العام الجديد-رجوع إلى البحر-الكلمة والتجربة.

ب/ الشكوى والحقيقة الجديدة: (الألم/الهزيمة)

نسيان-أغنية البجعة-أسطورة الوفاء-يوم الثلوج-اسمك-القصيدة الأخيرة-القصيدة الأولى-هزيمة-

غيران-يزورنا-لا مفر-تلك القصيدة-ذاك المساء-بوركت لحظتنا-الإله الذي مات.

ج/ التناهي والابتهاال والفراق:

إليه بعيدا-عد من هناك-ولا شيء يبقى-وقد حدثني ذات ليلة-

[5] - ((أمام الباب المغلق)):

أ/ الانسداد والتشتت والهلع:

في ليلة مطرة-عند مفترق الطرق-أمام الباب المغلق.

ب/ الشجن:

أردنية فلسطينية في إنجلترا-مرثاة إلى نمر- قصيدة من سلمى - لماذا؟-تاريخ كلمة.

ج/ المواجهة/الصمود:

في العباب-حصار-مكابرة-لحظة.

د/ اللوعة والأمل:

رؤيا هنري-جسر اللقيا-لقاء كل ليلة.

[6] - ((الليل والفرسان)):

أ/ الحسرة والشجن:

لن أبكي-يوميات جرح فلسطيني-آهات أمام شباك التصاريح-جرمة قتل في يوم ليس كالأيام-

عاشق موته-حكاية لأطفالنا-أنشودة الصيرورة-كيف تولد الأغنية-حين تنهمر الأنباء السيئة-كفاني

أظل بحضنها-ذهب الذين نجبهم.

ب/ الكفاح والنضال والمقاومة :

كلمات من الضفة الغربية-رسالة إلى طفلين من الضفة الشرقية-خمس أغنيات للفدائيين-الطوفان والشجرة-الفدائي والأرض-حي أبدا-من صور المقاومة-حرية الشعب.

ج/ المعاناة:

مدينتي الحزينة-الطاعون -حمزة- إلى صديق غريب-من صور الاحتلال الصهيوني-

د/ المناجاة:

إلى السيد المسيح في عيدهِ-إلى الوجه الذي ضاع في التيه.

[7] - ((على قمة الدنيا وحيدا))

أ/ التنبؤ:

نبوءة العرافة-حرية الفارس.

ب/ الشجن: اغتراب ولوعة وأسى:

كوايبس الليل والنهار-في المدينة الهرمة-على قمة الدنيا وحيدا-عن الحزن المعتق-إليهم وراء القضبان-إلى الشهيد وائل زعيتر-الأغنية الوصية-من مفكرة رنده- من مفكرة سجين مجهول مكان السجن- من مفكرة هبه-من مفكرة تيسير-بين المد والجزر-أمنية جارحة-إيتان في الشبكة الفولاذية-أغنية صغيرة لليأس-البيير كامو.

كما يتعين أن تؤدي عناوين الدواوين السبعة تسلسلا أفقيا وعمقا دلاليا متناسبا؛ ف ((وحددي مع الأيام)) تعين علاقة الحال (الوحدة) مع (الزمن) بما يرسم أفقا لصراعهما حتى تفقد كل معاني الحياة، وكأنها غاصت في دائرة لا تلامس واقع الناس، وليس فيهم من استطاع مد يد المساعدة للخروج منها بل هو التحول الذاتي، والانتقال من هذه الحال إلى حال أخرى إما على وجه الإبدال والتغير الوضعي وإما على وجه تحويل الوجهة مع ثبات الوضع، ويبدو أنها في وحدتها وصراعها مع الزمن هي حالها الأولى بعد حال كانت أفضل ضرورة، ولا شك أن حدثا غير مجرى الأحداث عندها، ولذلك هي تعرف أن من الأوضاع ما يمكنه أن يكون أفضل من الحال التي هي عليها وأن نفسها جرت على أقل تقدير حالتين:

الأولى ما سبق الحدث الصارف إلى الحال الثانية. و الحال الثانية هي حال ما بعد الحدث. وفي هذه العنونة شيء من التفرد وكأن ليس في الكون من عانى حالها فكونت مع وحدتها والزمن

المرافق لهما كونا خاصا. وهو الكون الذي يصارع حياتها السابقة بدليل عنوان الجزء الثاني ((وجدتها)).

يصور هذا العنوان وثبة حقيقية تعدت بها الشاعرة عالمها الثاني إلى عالم آخر، ويبدو أنها اكتشفت ما جعل التحول ممكنا نحو ما كانت ترنو إليه في عزلتها السابقة، فتصورت كيف يمكنها تحصيل مرادها، أو أنها تمكنت من تعيين سبيل التعايش مع حالها رغم صفة التفرد التي بدت من خلال العنوان الأولى، وفي كل الحالات؛ فإن الملفوظ ((وجدتها)) يحمل معنى تحصيل مفقود، أو حل لمشكل ووضوح متأزم، وقد حصل بشيء من الحركة بعد حال من الثبات، وداعيها التركيب الفعلي في الثاني والاسمي في الأول.

على هذا يرتسم أفق للتوقع يقوم على تصور حدث ما كان فاصلا بين حياتين: أولاهما تختلف تماما عن الثانية التي دامت زمنا طويلا قبل أن تجد في نفسها ما يجعلها تتخطى وضعها إلى وضع آخر قد يكون أفضل حالا، فتتحول فيه المشاعر ويخف الوطء عليها ويصير مقبولا تستطيع معه التعايش مع أحوال الناس وعوالمهم الخاصة والعامية. وليس أدل على ذلك من عنوان الجزء الثالث ((قصائد من رواسب وحدي مع الأيام)). ويبدو أنها في حياتها الجديدة لا تنسى حالها الأولى، فتتخللها لحظات من الماضي في زمنها الحاضر، كأن مشاعرها تصارع أفكارها أو بعضها يصارع بعضها عند التذكر والعودة إلى الوراء.

قد يرتسم مع هذا الأفق شيء من تداخل الأحوال والمشاعر مرة ترجعها الذكرى بحنينها إلى زمن الوحدة ومرة تجذبها حياتها الجديدة إليها، وهما زمان مختلفان كما يظهر، والجديد منهما مبني على التفاؤل بحكم حالها في صراعها مع الزمن في الوضع الأول. ولذلك جاء الجزء الرابع معنونا بـ: ((أعطنا حبا)) ليحمل التوقع على نغمة من تحسن الحال.

إن الظاهر من الملفوظ يعين الحب مفقودا، ليس في حياتها فحسب بل في حياة غيرها؛ فجاءت المطالبة جماعية، وقد علمنا من وضعها السابق أنها كانت وحيدة في مأساتها. يحمل هذا الوضع على توقع حدوث حدث آخر عام حملها على تعدي مصابها مفردة، لتدخل في عموم مصاب الناس، وهو ما عبّرت عنه بـ ((وجدتها)) وكأن الحياة تكون بتعالقها مع قضايا الناس لا بالانزواء والتقوقع على النفس.

يظهر أيضا أن المطالبة بالحب وهو حق مشروع-بوصفه قيمة مفتقدة. ينحو إلى الإنسانية ولا علاقة له بالفردية أو الجمعية القومية، وكأن نزاع الناس في هذه الحياة حلّه السليم هو الحب الإنساني،

وقد يكون الوضع بشيء من التشابه والشمولية فيه افتقاد هذه القيمة الإنسانية المحركة لدواليب الحياة جميعها، فإن وجدت اكتفى الإنسان بنفسه ثم اكتفى بغيره، والمتبادر هنا أنها قيمة يفتقدها الإنسان فردا وجماعة، ولذلك لما دخلت في حلف الناس تحولت حياتها وتمكنت من العودة إلى الوضع المشابه على أقل تقدير لما قبل الحدث الأول الذي غيّر حياتها وشعورها إلى الفردية والانطواء.

وتقتضي المطالبة أن تتحقق القيمة المطالب بها كلية أو أن يتحقق بعضها، أو أن تلقى الرفض المطلق فلا تتحقق أصلا، وهنا يكون المقصود بالمطالبة إما قاصرا على توفيرها لهم وإما مانعا لها متعتنا، وهو محمول الجزء الخامس الموسوم بـ ((أمام الباب المغلق))، فيتعين أن في المقام رغبة تحملها المطالبة بمؤشرها ((أعطنا))، ومنع ومؤشره ((المغلق))، وهو واقع جديد تحولت إليه بفعل هذا المنع ذاته، لتبقى القيمة المعنوية ((الحب)) مفقودة ويبقى المنع قائما، وهذه هي الصورة النهائية؛ لأن الملفوظ يحمل معنى أن يكون الباب مفتوحا لمجرد الاستماع، ويحجب الإجابة لعله ما، قد تكون أعلى بكثير من قيمة ((الحب)) المطالب بها، إنما هي غاية مستترة، قد أدرك المطالب كنهها فامتنع عن الإجابة وقد تكون الشاعرة تنهج نهج من يريد المطلب الشامل الذي تهون دونه المطالب الأخرى، فليس الحب المراد فيما يبدو ما يختلج في الصدور ويغشاها دون إذن مسبق فهذا حب لا يمنعه أحد، ولا يقدر على ذلك ولو سعى إليه، وإنما الحب هنا هو الممارسة الحقة لفعل إذا أتاه الناس هانت دونه الرغبات وتلاشت المطالب وتهاوت كحال الحب الذي تدعو إليه الديانات السماوية والمحقق للأخوة الإنسانية والضامن للحريات والحث على العدالة بين البشر والاحترام التام للتوجه العقائدي الذي تقره الشرائع الإنسانية.

وإذا كان الحب المراد من أجل تحقيق هذه الغايات، وجب أن تجد هذه الرغبة معارضة؛ لأنها ما قامت إلا لتكسر السيطرة والمنع، وهو ما يستدعي تحول المطالبة من مطالبة سلمية إلى مطالبة افتكاك بالقوة. يحمل الجزء ((الليل والفرسان)) هذا المعنى؛ إذ فيه نبرة كفاح ومقاومة، بنظم يجتمع فيه الليل والفرسان، -بوصفهما لفظين - على وجهين:

الأول: على المجاز، فيكون الليل بديلا عن المانع والفرسان كل من سعى للنيل منه.

والثاني: على الحقيقة، فيكون الليل زمنا لحركة الفرسان الذين يسعون جاهدين لتحقيق غاياتهم العليا، وهو عامل مساعد على هذا الأداء.

وفي الوجهين معا يكون الفارس شخصية فذة مرموقة فيها كل صفات النبيل والطهارة والعفة والمروءة والإقدام، لتكتسب صفة الشرعية والأحقية؛ لأنهم لو خضعوا وتوانوا لما كانوا أهلا لنيل مرادهم، ولكنهم حين تجردوا لعزمهم وعينوا وجهتهم، واتخذوا الكفاح والنضال وسيلة كانوا أهلا له . مرادهم . واستحقوا عيشة الكرام الأفاضل. غير أن لفظ ((الليل)) يوحي بالقوة والكثرة، ولفظ ((الفرسان)) يوحي بالقلة رغم صفة الشجاعة، فإن هم نالوا مرادهم كان نصرا مؤزرا، وإن هم تعذر عليهم ذلك كانت محاولتهم فخرا لهم ولمن والاهم. ويتعين من هذا الوضع أن يكون نصرهم أمرا مستبعدا، أو يكون قابلا للتحقق أملا وحلما! ... لكن الحقيقة تقف في وجه الحلم... وتكون حركة المقاومة والنضال مغامرة قد تتلاشى مع الزمن أو قد يطول زمنها ليفقد الأمل، وتتحول الحال إلى ما كانت عليه قبل المطالبة. ولذلك يأتي الجزء السابع ((على قمة الدنيا وحيدا)) ليحقق هذه الوجهة، ويحمل نعمة تخلي الآخرين عن القضية الأساس، وقد يكون فيه أيضا شكل من الاستسلام تنبؤا واستشرافا، وكأن المقاومة بهذه الطريقة لا تحقق نصرا ولا تهيم مجالا له، وكأن زمن تحقيق الهدف المنشود لم يأت بعد...!

إن تتبع محمول الأجزاء السبعة يؤكد أنها تسير حياتها وحياتها من يعيش معها وكل جزء منها محطة من سيرتها الذاتية، التي ورغم توالي الأحداث والمحطات فيها تبقى دائما يميزها الانكسار وعدم الظفر بالمراد، فقد بدأت بعد الحدث الحوّل كما انتهت إليه حركة المقاومة، ولعلها النكسات التاريخية المعروفة في التاريخ العربي الحديث، فبعد قيام إسرائيل في 1948 إلى العدوان الثلاثي على مصر في 1956 إلى استكمال احتلال فلسطين في 1967⁽¹⁾، وفي كل مرة تنكسر كبرياء العرب رغم عدالة قضيتهم، فلا هم انتصروا بقوتهم وإعدادهم، ولا هم انتصروا بدعم من حلفائهم، ولا كان لهم حظ في ذلك.. لذا بدت العناوين في إجمالها ناقلة لهذا الوضع المرغوب عنه، حتى أنها في آخر المطاف آثرت الاكتفاء بنفسها ووحدها دون غيرها.

في هذا الإطار أيضا، يمكن التوقف عند موقف العالم من الكيان الإسرائيلي ومن القضية الفلسطينية، وما أداه التحيز من تمييز تَبَّتْ هذا الكيان، وكأن العالم كله تأمر واتفق على ذلك؛ فكانت حركة المقاومة مجرد حركة ضد التيار. فلما أدركت الشاعرة ذلك، جاء تعبيرها بصيغة المفرد ليشمل كل مثيل لها وشبيهه من أبناء شعبها، فكلهم يعانون الوحدة في سجونهم وفي مخيمات اللاجئين

¹ - استثنيت حرب 1973، لعدم وجود ما يقوم شاهدا عليها.

وطوفهم في كل العالم والاعتراب يلاحقهم... شتات هنا وهناك، نموذج حقيقي لشعب تشظى وانقطعت أوصال وحدته فعاش الكل منفردا يعاني، ولا أحد يكثرث.

يبدو أن هذا الكلام كأنه خطاب للضمير الإنساني، ولهجة استغاثة بصيغة تفيد الاستسلام، أو على خلافه تماما، هي لهجة متوعد لخصمه؛ إذ لا يمكن لهذا التواطؤ الدولي أن يغير من العزم شيئا، ورغم الدرب الصعب، وقلة العون والمساندة ستبقى المقاومة حتى النصر "أحالفنا العالم في قضيتنا أم لم يحالف".

لقد تأكد مبدئيا التوقع السالف مع الكاليفرافات؛ إذ يجتمع كل الخطاب الشعري على

عنصرين:

- الأول منهما مصروف للحب والهيام والحلم والليل بمواجهته وما فيه من تضرع وابتهاال ونجوى.
- والثاني للمواجهة والصمود والكفاح والنضال والمعاناة والاعتراب بما يحمل على إمكانية تفسير الحال التي صورتها الكاليفرافات سابقا.

إن الأکید هو وجود وضعین متوالیین يقوم علیهما انفعال فدوی طوقان الشعري. وهو ما سیظهر أكثر وضوحا مع الإهداءات والتقديمات والتذييلات.